الولادةُ في الكَعْبـةِ المُعَظَّمَةِ

فَضِيلةٌ لِعَلِيٍّ عَليهِ السَّلام خَصَّهُ بِهَا رَبُّ البَيْتِ

شاكر شَبَعْ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الاخيار المنتجبين .

أما بعد :

فقد حالفني الحظ في مطالعة كتاب « علي وليد الكعبة » لسماحة الشيخ الحجة الميرزا محمد علي الغروي الاردوبادي تغمده الله برحمته ، وسبرت غوره بقدر ما وسعني ذلك ، فامتلات نفسي

إعجابا به وإكبارا له ، ووجدتني مندفعا لتسجيل كلمة تعرب عن مبلغ ارتياحي وابتهاجي بهذا الاثر القيم ومكانته .

ولم يعرني شك في أنه نفحة من نفحات أمير المؤمنين عليه السلام منحها المؤلف فاستأثر بها ، مطلقا العنان لسعة باعه وقوة بيانه المفعم بعناصر التجويد والابداع ، موقفاً الباحث على جلية حديث الولادة الميمونة ، مظهراً في أثناء ذلك مبلغ عنائه في جمع مواده .

ولشدة ما استهواني موضوع الكتاب بدأت أجمع استدراكات له ، تتميماً وتعضيداً ، والذي حداني إلى ذلك ثقتي بأنه قدس سره لو أمد الله في عمره لصنع مثل

ما صنعت ، وبارك لي فيما كتبت ، خاصة أني اقتفيت في هذا التتميم أثره ، وسلكت منهجه .

وقد تجمعت لدي نصوص كثيرة من مخطوط الكتب ومطبوعها ، قديمها وحديثها ، نادرها ونفيسها ، مما كان الوصول إليه والحصول عليه في زمان الحجة المؤلف أمرا عسيرا ، ومجموع ذلك يغني لاثبات صحة الحديث ، والكشف عن اتفاق أهل العلم والفضل عليه .

ولكن الذين (يحسدون الناس على ما ءاتهم الله من فضله) لم تطاوعهم نفوسهم لقبول فضائل الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذه أوّلها بما فيها من دلالات عميقة ، فحاولوا تشويهها بشتى الاساليب ، تمريرا لسياسة معاوية في التصدي لفضائل الامام علي عليه السلام ، تلك السياسة التي دبرها وعممها في مرسوم سلطاني يقول فيه :

برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل ابى تراب واهل بيته [١] .

ثم كتب إلى عماله في جميع الآفاق :

إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه احد من المسلمين في ابى تراب ، إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحب الى وأقر لعيني ، وأدحض لحجة ابي تراب وشيعته [٢] .

قال الرواي : فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ! فظهر حديث كثير

موضوع ، وبهتان منتشر ! [٣] .

وبهذه الجرأة والصلافة ملأوا كتبهم بالاكاذيب الكثيرة ، والفضائل المجعولة ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ـ ١١|٤٤ عن كتاب « الاحداث » لابي الحسن علي بن محمد المدائني .

(٢) المصدر السابق : ١١|٤٦ .

(٣) المصدر السابق .

والاحاديث الموضوعة .

وحيث لم يطالوا إنكار فضيلة المولد الشريف للامام علي عليه السلام لوضوحه واشتهاره ، بل تواتره والاتفاق عليه ، عمدوا إلى وضع أسلوب آخر لاخفاء أثرها ، وهو ادعاء مثل ذلك لشخص آخر هو الصحابي حكيم بن حزام ، وروجوا لهذه المزعومة حسب الامكانات التي هيأتها لهم السلطة وأعوانها .

وهذه ليست أول خصوصية يحاولون سلبها عليا عليه السلام ، بل هناك غيرها كثير ، منها :

الحديث المتواتر المتفق على صحته : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .

وضعوا قباله حديثاً واهياً هو : « أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعلي بابها ! » [٤] .

وحديثا آخر ، أشد وهنا ، وأظهر وضعاً ، هو : « أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، ومعاوية حلقتها ! » [٥] .

ومنها الحديث المتواتر الثابت الآخر : « علي مني بمنزلة هارون من موسى » .

وضعوا قباله حديثاً يشهد متنه وسياقه بوضعه ، فضلا عن سنده ، هو : « أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى ! » [٦] .

ومنها الحديث المتواتر الصحيح الآخر : « لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . . . » . وضعوا قباله حديثا مثيرا للضحك والسخرية والاستغراب ، هو : « لاعطين

هذا الكتاب رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ! قم يا عثمان بن أبي العاص . فقام عثمان بن أبى العاص ، فدفعه إليه » ؟ ! [٧] .

ويكشف عن هذا التلاعب المكشوف ، ويبين أنه كان أمرا معروفا ومألوفا ، قول

(٤ و ٥) راجع الغدير ٧ : ١٩٧ ـ ١٩٩ .

(٦) راجع الغدير ١٠ : ٩٤ .

(٧) المعجم الاوسط للطبراني ١ : ٤٣٨ ح ٧٨٨ ، عنه مجمع الزوائد ٩ : ٣٧١ .

الزهري في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد بن حنبل في « فضائل الصحابة » قال :

حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنا معمر ، قال : سألت الزهري : من كان كاتب الكتاب يوم الحديبية ؟ فضحك وقال : هو علي ، ولو سألت هؤلاء ـ يعني بني أمية ـ قالوا : عثمان [٨] .

واستعراض باقي الامثلة يخرجنا عن موضوع البحث الرئيسي ، وإنما أردنا التدليل على منهج أُولئك في سلب الخصوصية ، وجرأتهم على وضع الاحاديث الواهية قبال الاحاديث السليمة .

هذا رغم ميل بعض العلماء إلى أن ولادة حكيم بن حزام في الكعبة ليست فضيلة ولا مكرمة ، وإنما كانت اتفاقا ولم تكن قصدا ، كما ارتأى ذلك الصفوري وغيره [٩] .

وأغرق بعضهم نزعا في الضلال ، ورمى القول على عواهنه ، متحديا ما أثبته مهرة الفن وأئمة النقل ، وأخبت كبار العلماء والمؤرخين بصحته ، ولم يكترث بأسانيده المتضافرة ، وطرقه المتصلة المعتمدة عند كل مؤالف ومخالف ، فقال :

« إن حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ، ولا يعرف ذلك لغيره ، وأما ما روي أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء » [١٠] ! !

وقد أجاد الحجة الاردوبادي في الرد عليه ، وتفنيد مزاعمه ، فراجع أواخر باب « حديث الولادة والمؤرخون » .

ولكن نجد رغم ذلك أن محاولتهم فيما يخص فضيلة المولد الشريف في الكعبة المعظمة باءت بالفشل [١١] ، فلو رجعنا إلى مصادر الحديث لوجدنا خلالها ـ مع إثبات

(٨) فضائل الصحابة ٢ : ٥٩١ ح ١٠٠٢ طبعة مكة .

(٩) نزهة المجالس ٢ : ٢٠٤ .

(١٠) أنظر إنسان العيون ١ : ٢٢٧ .

(١١) قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني في الاصابة : ٤|٢٦٩ : « كلما أرادوا ـ يعني بنو أمية ـ إخمادها وهددوا من حدث بمناقبه لا تزداد إلا انتشارا » .

تلك الفضيلة للامام على عليه السلام على اليقين والجزم ـ أن من المؤلفين والعلماء والرواة من أعلن أن هذه الفضيلة مختصة بالامام عليه السلام لم يشركه فيها أحد قبله ولا بعده ، مصرحين بذلك بعبارات شتى تدل على حصر هذه الفضيلة للامام عليه السلام بضرس قاطع .

وإليك نصوصها :

« لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه ، إكراما له بذلك وإجلالا لمحله في التعظيم » .

رواها الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨ هـ) عن الحاكم أبي عبد الله النيشابورى (٣٢١ ـ ٤٠٥ هـ) (١٢) .

وقالها أيضا :

ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣) [١٣] .

ـ الحافظ يحيى بن الحسن الاسدي الحلي ، المعروف بابن البطريق (٥٣٣ ـ ٦٠٠ هـ) [١٤] .

ـ الشيخ الثبت أبو علي محمد بن الحسن الواعظ الشهيد النيسابوري ، المعروف بابن الفتال ، من علماء القرن السادس [١٥] .

ـ الشيخ الوزير بهاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى الاربلي (ت ٦٩٣ هـ) [١٦] .

(١٢) كفاية الطالب : ٤٠٧ .

(١٣) الارشاد : ٩ .

(١٤) عمدة عيون صحاح الاخبار : ٢٤ .

(١٥) روضة الواعظين : ٧٦ .

(١٦) كشف الغمة ١ : ٥٩ .

ـ الامام جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ) [١٧] .

ـ السيد المحدث جلال الدين عبد الله بن شرفشاه الحسيني ، المتوفى نيف وثمانمائة من الهجرة [١٨] .

ـ الشيخ المحدث الحسن بن أبي الحسن الديلمي ، من أعلام القرن الثامن الهجري [١٩] .

ـ الشيخ المؤرخ النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسني ، المعروف بابن عنبة (ت ٨٢٨ هـ) [٢٠] .

ـ العلامة المحدث السيد ولي الله بن نعمة الله الحسيني الرضوي ، من أعلام القرن التاسع الهجري [٢١] .

ـ العالم اللغوي الشيخ فخر الدين الطريحي (٩٧٩ ـ ١٠٨٧ هـ) [٢٢] .

ـ العلامة محمود بن محمد بن علي الشيخاني القادري الشافعي المدني ، من أعلام القرن الحادي عشر [٢٣] .

* * *

« ولد بمكة في البيت الحرام ، ولم يولد قط في بيت الله تعالى مولود سواه ، لا قبله ولا بعده ، وهذه فضيلة خصه الله تعالى بها ، إجلالا لمحله ومنزلته ، وإعلاء لقدره » .

---

(١٧) نهج الحق وكشف الصدق : ٢٣٢ .

(١٨) منهج الشيعة في فضائل وصي خاتم الشريعة : ٧ ، نسخة مكتبة آية الله الكلبايكاني المؤرخة ١٢٦٥ هـ .

(١٩) إرشاد القلوب : ٢١١ .

(٢٠) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٥٨ .

(٢١) كنز المطالب وبحر المناقب : ٤١ ، نسخة المدرسة الفيضية المؤرخة ٩٨٩ هـ .

(٢٢) جامع المقال : ١٨٧ .

(٢٣) الصراط السوي : ١٥٢ ، نسخة المكتبة الناصرية في لكهنو بالهند ، والتي يظهر أنها بخط المؤلف .

قالها :

ـ أمين الاسلام الشيخ المفسر أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) [٢٤] .

ـ الحافظ محمد بن معتمد خان البدخشاني الحارثي ، من أكابر علماء العامة في القرن الثاني عشر [٢٥] .

* * *

« ولد بداخل البيت الحرام ، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه ، وهي فضيلة خصه الله تعالى بها اجلالا له ، وإعلاء لمرتبته ، وإظهارا لتكرمته » .

قالها :

ـ الحافظ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المكي المالكي (٧٨٤ ـ ٨٥٥ هـ) [٢٦] .

وحكاها عنه :

ـ الفقيه المؤرخ نور الدين علي بن عبد الله الشافعي السمهودي (٨٤٤ ـ ٩١١ هـ) في « جواهر العقدين في فضل الشرفين العلم الجلي والنسب العلي » .

ـ الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥ ـ ١٠٤٤ هـ) في « إنسان العيون » [٢٧] .

ـ الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي ، من علماء القرن الثالث عشر [٢٨] .

* * *

---

(٢٤) إعلام الورى : ١٥٣ ، تاج المواليد : ١٢ .

(٢٥) مفتاح النجا في مناقب آل العبا ، نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الاطهار : ١١٥ .

(٢٦) الفصول المهمة : ٣٠ .

(٢٧) عنهما علي وليد الكعبة : ١١٩ .

(٢٨) نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار : ١٥٦ .

« ولد في البيت الحرام ، ولا نعلم مولودا في الكعبة غيره » .

قالها نقيب الطالبيين الاديب الفقيه أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ، المعروف بالشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ) [٢٩] .

* * *

« ولدته ـ أمه ـ في الكعبة ، ولا نظير له في هذه الفضيلة » .

قالها علم الهدى ذو المجدين علي بن الحسين الموسوي ، المعروف بالشريف المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) [٣٠] .

* * *

« لم يولد في الكعبة إلا على » .

قالها :

ـ الحافظ الفقيه محمد بن علي القفال الشاشي الشافعي (ت ٣٦٥ هـ) [٣١] .

ـ شيخ الاسلام الحافظ المحدث إبراهيم بن محمد الجويني الشافعي (٦٤٤ ـ ٧٣٠ هـ) .

* * *

« ولدت ـ فاطمة بنت أسد ـ عليا عليه السلام في الكعبة ، وما ولد قبله أحد فيها » .

نص على ذلك السيد الشريف النسابة نجم الدين أبو الحسن علي بن محمد العلوي العمري ، من علماء القرن الخامس الهجري .

---

(٢٩) خصائص الائمة : ٤ .

(٣٠) شرح قصيدة السيد الحميري المذهبة : ٥١ ، طبعة مصر سنة ١٣١٣ هـ .

(٣١) فضائل أمير المومنين : مخطوط ، عنه إحقاق الحق ٧ : ٤٨٩ .

(٣٢) فرائد السمطين ١ : ٤٢٥ .

(٣٣) المجدي في أنساب الطالبيين : ١١ .

« لقد ولد عليه السلام في بيت الله الحرام ، ولم يولد فيه أحد غيره قط » .

قالها الشيخ الفقيه أبو الحسين سعيد بن هبة الله ، المعروف بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) [٣٤] .

* * *

« مولده عليه السلام في الكعبة المعظمة ، ولم يولد بها سواه » .

قالها العلامة عمر بن محمد بن عبد الواحد [٣٥] .

* * *

« . . . فالولد الطاهر ، من النسل الطاهر ، ولد في الموضع الطاهر ، فأين توجد هذه الكرامة لغيره !

فأشرف البقاع : الحرم ، وأشرف الحرم ، المسجد ، وأشرف بقاع المسجد : الكعبة ، ولم يولد فيه مولود سواه .

فالمولود فيه يكون في غاية الشرف ، فليس المولود في سيد الايام (يوم الجمعة) في الشهر الحرام ، في البيت الحرام سوى أمير المؤمنين عليه السلام » .

قالها الحافظ المؤرخ أبو عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ) بعد أن ذكر عدة أحاديث في ولادة علي عليه السلام في الكعبة [٣٦] .

* * *

« ولد في الكعبة بالحرم الشريف ، فكان شرف مكة وأصل بكة لامتيازه

---

(٣٤) الخرائج والجرائح ٢ : ٨٨٨ .

(٣٥) النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم : ١٦ ، مخطوطة مكتبة آيا صوفيا ـ تركيا ، وأنظر بشأنه إيضاح المكنون ٢ :

٦٦١ ، أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في المكتبة العربية .

(٣٦) مناقب آل أبي طالب ٢ : ١٧٥ .

بولادته في ذلك المقام المنيف ، فلم يسبقه أحد ولا يلحقه أحد بهذه الكرامة » .

قالها المحدث الجليل السيد حيدر بن علي الحسيني الآملي من علماء القرن الثامن الهجري [٣٧] .

* * *

« كانت ولادته بالكعبة المشرفة ، وهو أوّل من ولد بها ، بل لم يعلم أن غيره ولد بها » .

قالها العلامة صفي الدين أحمد بن الفضل بن محمد باكثير الحضرمي الشافعي ، من أعلام القرن الحادي عشر [٣٨] .

* * *

« ولد عليه السلام بمكة داخل الكعبة على الرخامة الحمراء ، ولم ينقل ولادة أحد قبله ولا بعده في الكعبة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

قالها كل من :

ـ العالم المحدث الفقيه السيد تاج الدين بن علي بن أحمد الحسيني العاملي ، من علماء القرن الحادي عشر [٣٩] .

ـ العالم الفاضل محمد بن رضا القمي ، من علماء القرن الحادي عشر [٤٠] .

* * *

« ولادة معدن الكرامة في جوف الكعبة ، ولم يولد أحد فيها غيره ، وقد خصه

---

(٣٧) الكشكول فيما جرى على آل الرسول : ١٨٩ .

(٣٨) وسيلة المآل : ٢٨٢ ، نسخة مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة ، المؤرخة ١٢٨٠ هـ .

(٣٩) التتمة في تواريخ الائمة ، الفصل الثالث ، مخطوط .

(٤٠) كاشف الغمة : ٤٢٢ " نسخة المؤلف المخطوطة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى ، برقم ٢٠٠٠ .

الله تعالى بهذه الفضيلة ، وشرف الكعبة بهذا الشرف » .

قالها العلامة الفاضل محمد مبين بن محب الله بن أحمد اللكهنوي الانصاري الحنفي (ت ١٢٢٥ هـ) [٤١] .

« ولادته في مكة المكرمة في جوف بيت الله الحرام ، ولم يولد أحد غيره في هذا المكان المقدس » .

قالها العلامة الشيخ محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧ هـ) [٤٢] .

* * *

« كانت ولادته عليه السلام في جوف الكعبة ، ولم تتح هذه السعادة لاىٔ أحد منذ بدء الخليقة إلى الغاية ، وإن لصحة هذا الخبر بين المؤرخين المتحفظين على الفضائل صيت لا تشوبه شبهة ، وتجاوز عن أن يصحبه الشك والترديد » .

قالها المؤرخ الشهير محمد بن خاوند شاه بن محمود (ت ٩٠٣ هـ) [٤٣] .

* * *

« من المتفق عليه أن غيره صلوات الله عليه لم يولد هناك » .

قالها المؤرخ العالم زين العابدين الشيرواني ، من علماء القرن الثاني عشر [٤٤] .

* * *

أما الشعراء ، وخاصة العلماء منهم ، فقد زينوا شعرهم بقصائد في بيان فضائله ومناقبه عليه السلام المروية بالطرق الصحيحة المصححة المتواترة ، تخليدا لذكراه ، وأداء لبعض حقه ، وأثبتوا فيها خصوصية ولادته في الكعبة المعظمة ، ومنهم :

---

(٤١) وسيلة النجاة : ٦٠ ، طبعة كلشن فيض ـ لكهنو .

(٤٢) تكريم المؤمنين بتقويم مناقب الخلفاء الراشدين : ٩٩ ، طبعة الهند سنة ١٣٠٧ هـ .

(٤٣) روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى ، الجزء الثاني .

(٤٤) بستان السياحة : ٥٤٣ ، الطبعة الثانية .

العالم الاديب أبو الحسن علاء الدين علي بن الحسين الحلي ، من العلماء الشعراء في القرن الثامن الهجري ، يقول في قصيدة دالية طويلة :

ام هل ترى في العالمين بأسرهم * بشرا سواه ببيت مكة يولد ؟

في ليلة جبريل جاء بها مع * الملأ المقدس حوله يتعبد

فلقد سما مجدا عليٌّ كما علا * شرفا به دون البقاع المسجد [٤٥]

ومنهم العالم المتكلم المحدث الفقيه المولى محمد طاهر بن محمد حسين القمي ، صاحب المؤلفات القيمة النافعة ، المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ ، في لاميته البديعة التي مطلعها :

سلامة القلب نحتني عن الزلل * وشعلة العلم دلتني على العمل

إلى أن يقول :

طوبى له كان بيت الله مولده * كمثل مولده ما كان للرسل [٤٦]

ومنهم الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ) صاحب « وسائل الشيعة » ، قال في أرجوزة له في تواريخ المعصومين عليهم السلام :

مولده بمكة قد عرفا * في داخل الكعبة زيدت شرفا

على رخامة هناك حمرا * معروفة زادت بذاك قدرا

فيا لها مزية علية * تخفض كل رتبة علية

ما نالها قط نبيٌّ مرسل * ولا وصي آخر وأول

(٤٥) تجد القصيدة كاملة في الغدير ٦ : ٣٥٦ ـ ٣٦٤ .

(٤٦) الغدير ١١ : ٣٢٠ .

ثم شرع بنظم حديث يزيد بن قعنب المشهور [٤٧] .

ومنهم الشيخ الفقيه حسين نجف التبريزي النجفي (١١٥٩ ـ ١٢٥١ هـ) ، حيث يقول في قصيدته الهائية :

جعــل الله بيتــه لعلي * مـولداً يا لـه علا لا يضاهى

لـم يشاركه في الولادة فيه * سيد الرسل لا ولا أنبياها [٤٨]

ومنهم العلامة السيد علي نقي النقوي الهندي اللكهنوي في موشحة ميلادية طويلة ، منها قوله :

لم يكن في البيت مولود سواه * إذ تعالى عن مثيل في علاه

اوتـي الـعلم بتـعليم الاله * فـغذاه دره قـبل الفطام

يرتوي منه بأهنى مشرب [٤٩]

ومنهم آية الله السيد محسن الامين (١٢٨٤ ـ ١٣٧١ هـ) صاحب الموسوعة القيمة « أعيان الشيعة » ، حيث ذكر في أول باب سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ، فصل في مولده ، من

موسوعته الآنفة الذكر :

ولدت ببيت الله وهي فضيلة * خصصت بها إذ فيك أمثالها كثر [٥٠]

وله أيضا من مقصورة :

وولدت في البيت الحرام ولم يكن * هذا لغيرك من يكون ومن مضى [٥١]

---

(٤٧) عليٌّ وليد الكعبة : ٣٦ .

(٤٨) نقلها الشيخ الاوردبادي في علي وليد الكعبة : ٦٩ عن ديوان الشيخ المخطوط .

(٤٩) تجدها كاملة في عليّ وليد الكعبة : ٨٥ ـ ٨٨ ، والغدير ٦ : ٣٣ ـ ٣٥ .

(٥٠) أعيان الشيعة ١ : ٣٢٣ .

(٥١) عليٌّ وليد الكعبة : ١٠٨ .

ومنهم السيد حسن بن محمود الامين (١٢٩٩ ـ ١٣٦٨ هـ) .

في قصيدة بائية طويلة :

ولدت في البيت بيت الله فارتفعت * أركـانه بـك فوق السبعة الحجب

وتـلك مـنـزلـة لم يؤتها بشر * بلى ومرتبة طالت على الرتب [٥٢]

ومنهم الفاضل الاديب الشيخ محمود عباس العاملي في قصيدته العلوية المسماة بـ « الدرر السنية » :

من مـثله في بيت بارئه ولد ؟ * ذي خصلة قد خص فيها مذ وجد

أمعن بها يـا صاح فكرا واعتمد * وانظر لها النظر الصحيح ولا تحد

من واضح المنهاج وقيت الضرر [٥٣]

والشعر في خصوصية ولادة على عليه السلام في الكعبة كثير ، التقطت منه هنا ما هو أروع إلى السمع وأوقع في القلب .

* * *

بعد هذه المقدمة لابد من خوض غمار حديث ولادة حكيم في الكعبة ، هذه المزعمة الزائفة ، والرواية المجعولة ، وإخضاعها لشيء من البحث والتحقيق والتمحيص ، لكشف زيفها وبيان وضعها ، إذ فيها الكثير مما يوجب الشك والريب في سلامتها وصحتها ، وبراءة ساحة رواتها .

وأول من نسبت إليه وحكيت عنه ، وأقدمهم :

هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، النسابة المعروف ، صاحب التآليف التي

---

(٥٢) أعيان الشيعة ٥ : ٢٨٥ ، دائرة المعارف الشيعية ١ : ١٥٣ .

(٥٣) علي وليد الكعبة : ٨٣ .

نيفت على المائة والخمسين ، والمتوفى سنة أربع أو ست ومائتين ، وقيل : الاول أصح .

والكلبي ممن تكالب بعض علماء الجرح والتعديل من العامة على تضعيفه وترك ما رواه ، وعدم الاحتجاج به .

قال الدارقطني وغيره : متروك الحديث [٥٤] .

وقال يحيى بن معين : غير ثقة [٥٥] .

وقال السمعاني : « يروي العجائب والاخبار التي لا أصول لها . . . . أخباره في الاغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الاغراق في وصفها » [٥٦] .

وهذه الاتهامات ضد الكلبي ليس لها وزن عندنا ، لانها ناشئة عن تعصب طائفي ، ومنقوضة بما يخالفها من آراء حسنة في الرجل تدل على خبرته وأمانته .

إلا أنا نشكك في صحة نسبة ذلك القول إليه ، وفي صدق الحكاية عنه .

والمتهم في التقول عليه هو روايته السكري ، فقد نسب إلى الكلبي أنه قال في « جمهرة النسب » :

« وحكيم بن حزام بن خويلد عاش عشرين ومائة سنة ، وكانت أمه ولدته في الكعبة » [٥٧] .

وكتاب الجمهرة من أشهر كتبه ، عده كبار المؤرخين من مصنفاته ، وذكروا أن محمد بن سعد كاتب الواقدي ومصنف كتاب « الطبقات » الكبير رواه عنه مع سائر مصنفاته .

ولكن النسخة التي بأيدينا من كتاب الجمهرة هي برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (٢١٢ ـ ٢٧٥ هـ) عن أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) عن الكلبي .

(٥٤ و٥٥) سير أعلام النبلاء ١٠ : ١٠١ ، لسان الميزان ٦ : ١٩٦ .

(٥٦) الانساب ٥ : ٨٦ .

(٥٧) جمهرة النسب ١ : ٣٥٣ .

وهذا خلاف ما أثبته المؤرخون كالنديم والحموي وغيرهما [٥٨] .

وكان لهذا الاختلاف أثر كبير ، ودور مؤثر في متن الكتاب الاصلي .

فقد عمد السكري إلى دس بعض آرائه وأقواله ومروياته في متن الجمهرة ، مصدرا بعضها بـ «

قال أبو سعيد » ، هاملا البعض الآخر ، كما قام بتحريف بعض الجمل والكلمات ، أو تبديلها بما يتلاءم وآراءه الفكرية والمذهبية .

وكان هذا ديدن السكري في ما يرويه من مصنفات غيره ، وهكذا صنع بكتاب « المحبر » لاستاذه وشيخه أبي جعفر محمد بن حبيب .

وقد تنبه لهذا الامر محققا كتاب الجمهرة والمحبر .

قال الدكتور ناجي حسن محقق الجمهرة في مقدمة التحقيق :

« لقد وصلتنا جمهرة النسب لابن الكلبي برواية أبي سعيد السكري ، عن محمد ابن حبيب ، عن ابن الكلبي ، ومع ذلك ظهرت فيها إضافات واضحة ، وزيادات ، وتعليقات بينة ، لم ترد في أصل الجمهرة ، بل أضافها الرواة والنساخ .

ولا يستبعد أن يكون أبو سعيد السكري هو نفسه الذي قام بهذا العمل ، حين وجد لديه فيضا من الاخبار ذات الصلة بالانساب » [٥٩] .

بعد هذا كله فليس من المستبعد ، ولا المستحيل ، أن تكون جملة « وكانت أمه ولدته في جوف الكعبة » في ذيل كلمة الكلبي المتقدمة من تلك الاضافات ، والزيادات ، والتعليقات البينة ، المحسوبة « فيضا من الاخبار ذات الصلة بالانساب » .

فإن كانت هذه الزيادة مبهمة بعض الشيء أومشكك في أنها من الجمهرة ، فهي واضحة ، مكشوفة ، جلية في المحبر .

ففي فصل الندماء من قريش :

« وكان الحارث بن هشام بن المغيرة نديما لحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد

---

(٥٨) الفهرست : ١٤٣ ، معجم الادباء ١٩ : ٢٩١ .

(٥٩) جمهرة النسب : ١٠ .

ـ وحكيم هذا ولد في الكعبة ، وذلك أن أمه دخلت الكعبة وهي حامل به ، فضربها المخاض فيها ،

فولدته هناك ـ أسلما جميعا » [٦٠] .

فالعبارة التي بين شارحتين قد أحدثت فاصلة بين صدر الكلام وذيله ، إذ المراد بقوله « أسلما جميعا » : الحارث وحكيم ، كما يدل عليه قوله المتقدم في أول الفصل المذكور : « وكان حمزة بن عبد المطلب نديما لعبدالله بن السائب المخزومي ، أسلما جميعا » [٦١] .

على أن هذا الفصل هو في الندماء من قريش ، وليس في ذكر أحوالهم وأحوال أمهاتهم وتاريخ ولاداتهم وكيفيتها .

أضف إلى هذا أن عناوين الفصول والابواب في المحبر انتخبت بدقة لتتلاءم مع محتوياتها ، كما يلاحظ بشكل جلي أنها خالية من الحشو وذكر الامور الفرعية ، اللهم إلا في بعض الموارد التي هي من إضافات السكري .

ففي فصل أسلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« وسالفه صلى الله عليه : سعيد بن الاخنس ـ قال أبو سعيد السكري : سعيد هذا هو الذي قال النبي صلى الله عليه : أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشا ـ بن شريق ابن وهب . . . . » [٦٢] .

وما أشبه قوله « سعيد هذا » بقوله « حكيم هذا » .

وما أشبه الفاصلة بين « بن الاخنس . . . . بن شريق » بالفاصلة الحادثة في الفقرة موضع البحث ، وكل ما في الامر تصديرها بـ « قال أبو سعيد السكري » هنا ، وتركها سائبة مهملة هناك .

لم يكتف السكري بهذا ، بل أضاف في بعض الموارد بهلا وروايات تتماشى مع اعتقاداته المذهبية .

---

(٦٠) المحبر : ١٧٦ .

(٦١) المصدر نفسه : ١٧٤ .

(٦٢) المصدر نفسه : ١٠٥ .

أذكر منها ما في أواسط فصل « ذكر سرايا رسول الله صلى الله عليه وجيوشه » .

« وفيها غزوة عمرو بن العاص السهمي على ذات السلاسل ، ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح في جيشه ، وكان استمد ، فأمده النبي صلى الله عليه بجيش فيهم أبو بكر وعمر ، ورئيس الجيش أبو عبيدة بن الجراح .

قال أبو سعيد : فشكا أبو بكر وعمر رحمهما الله إلى النبي صلى الله عليه عمرو ابن العاص ، فقال لهما : لا يتأمر عليكما أحد بعدي . وهذا توكيد لخلافة أبي بكر وعمر رحمهما الله » [٦٣] .

ولست في صدد الخوض في بحوث الخلافة والامامة ، ومن هو أحق بها من غيره ، أو الولوج في مدى صحة حديث « لا يتأمر عليكما أحد بعدي » وعدمه ، فهذا أمر أشبعه علماؤنا بحثا وتفصيلا ، ولكن أوردت هذا المثال لبيان تلاعب السكري في متون الكتب ، وهدفه من ذلك وغايته .

يقول محقق كتاب المحبر في كلمة الختام :

« وأظن أنه ـ أي ابن حبيب ـ كان يميل إلى الشيعية ، فإنه لا يذكر أبدا أم المؤمنين عائشة ، وسيدنا أبا بكر الصديق ، وسيدنا عمر إلا بكلمة (رحمه الله) مع أنه دائما يذكر ام المؤمنين خديجة وسيدنا عليا بكلمة (رضي الله عنه) رضي الله عنهم أجمعين .

وأيضا قد أثبت جميع ما يعاب به الرجل في سيدنا عمر ، مثل أنه كان أحول [٦٤] .

أو كان قد ضرب ، قبل أن يسلم ، جاريته ضربا مبرحا على قبولها الاسلام ، ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا !

فمن أجل ذلك ، فيما أحسب ، أن راويه أبا سعيد السكري يضيف أحيانا إلى

---

(٦٣) المصدر نفسه : ١٢١ و١٢٢ .

(٦٤) أنظر المحبر : ٣٠٣ .

متن الكتاب ما يؤيد رأي أهل السنة والجماعة في أمر الخلافة » [٦٥] .

وقد تحامل كثيرا على ابن حبيب لوصفه عمر بأنه أحول ، وهو أمر خلقي وليس عيبا كما ادعى .

أو إثباته لبعض الحقائق التاريخية الثابتة المروية في جل كتب السيرة والتاريخ كضرب عمر

جاريته لانها سلكت طريق الحق وأسلمت .

حتى أنه عدها من الغل جهلا وتعصبا !

ويا ليته أمعن في مسألة تلاعب السكري المكشوف بمتن المحبر ، وإضافاته الواضحة إليه ، حتى يراها عين اليقين ، لكنه تساهل كثيرا وقال " فيما أحسب " فكان من الذين ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون .

* * *

فإن قيل : لا يهم عدم ذكر الكلبي وابن حبيب لخبر ولادة حكيم بن حزام في الكعبة ، في أصل كتابيهما ، وأنها مما أضافه السكري فيما بعد باعتباره الراوي الاول لهما ، وثبوت نسبة هذه الزيادات إليه ؛ لاننا نروي عن أئمة الجرح والتعديل عندنا توثيقه .

فقد قال فيه الخطيب البغدادي : كان ثقة دينا صادقا [٦٦] .

وقال ياقوت الحموي : الراوية الثقة المكثر [٦٧] .

فما زداه السكري في متن الكتابين نعده صحيحا مقبولا .

قيل لهم : إن ما أثبتناه من التلاعب السافر للسكري في نصوص الكتب ومتونها ، ينافي إطلاقكم صفة « ثقة » عليه ، لان الوثاقة هي الامانة . والثقة : الامين ، يقال :

---

(٦٥) المصدر نفسه : ٥٠٩ .

(٦٦) تاريخ بغداد ٧ : ٢٩٦ .

(٦٧) معجم الادباء ٨ : ٩٤ .

وثقت بفلان أثق ثقة إذا ائتمنته [٦٨] .

وقد بينا أنه لم يكن أمينا في رواية الكتابين ، لخيانته للامانة العلمية المتبعة في الاحتفاظ

بالنصوص على ما هي عليه ونقضه قواعد الرواية ، ففتح بذلك بابا للتلاعب المعلن بالكتب والآثار ، لم يغلق إلى عصرنا هذا .

على أنا لو سلمنا أنه كان ثقة كما تدعون ، فروايته هذه مردودة لاكثر من سبب .

منها : الارسال ،

والذي عليه جل العلماء وأجلتهم أنه ضعيف ، مردود ، لا يحتج به .

قال النووي في التقريب : « ثم المرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدثين ، وكثير من الفقهاء وأصحاب الاصول » [٦٩] .

وقال مسلم في مقدمة صحيحه : « والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالاخبار ليس بحجة » [٧٠] .

وقال ابن الصلاح في مقدمته : « ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف ، إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر » [٧١] .

وقال النووي : « ودليلنا في رد العمل به أنه إذا كانت رواية المجهول المسمى لا تقبل لجهالة حاله ، فرواية المرسل أولى ، لان المروي عنه محذوف ، مجهول العين والحال » .

وقال ابن أبي حاتم في كتاب المراسيل : « سمعت أبي وأبا زرعة يقولان : لا يحتج بالمراسيل ، ولا تقوم الحجة إلا بالاسانيد الصحاح المتصلة » [٧٢] .

---

(٦٨) أنظر الصحاح ٤ : ١٥٦٢ ، لسان العرب ١٠ : ٣٧١ .

(٦٩) التقريب : ٦٦ .

(٧٠) صحيح مسلم ١ : ٣٠ .

(٧١) مقدمة ابن الصلاح : ١٣٦ .

(٧٢) المراسيل : ١٥ .